صوت المرأة المسلمة

العدد : ١٩١ الموافق في صفر ١٤١٨ هجري ٧ / ١٩٩٧ ميلادي

عنوان المقال : { ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة }	بقلم : د. كمال الهلباوي

في أواخر العقد الماضي (الثمانينات) حضرت ندوة علمية في إسلام آباد ، عاصمة باكستان عن : « **الإعلام الإسلامي ودوره في دعم مسيرة الجهاد** » والتقيت بعض العلماء الأفاضل كالعهد بالندوات والمؤتمرات. وتطرق الحديث الجانبي بيني وبين أحدهم (من علماء أفغانستان) - أثناء الاستراحة - إلى دور المرأة المسلمة في هذا الأمر الخطير - أمر الجهاد - وشمل الحديث جوانب عديدة بهرتني عن ثبات المرأة الأفغانية المكلومة وصمودها - وبخاصة - في الهجرة ، فهي كأمّ فقدت زوجها أو ابنها أو أخاها ، وكزوجة (عروس) فقدت الزوج بعد الوالد والأخ والدار التي تعيش فيها أحياناً طول عمرها لا تبرحها. وكان أبرز ما أسفرت عنه نتائج الدراسات العلمية آنئذ (الاستبانة) ، فضلاً عن الصفات السابق ذكرها ، عفة تلك المرأة ، (٦٠٠) ألف أرملة معظمهن في سن العشرين لم تسجل محاضر الشرطة الباكستانية ضدهن جرائم مما يخدش الحياء أو تنافي الخلق الإسلامي العظيم. وحمدنا الله تعالى لهذه الصورة الرائعة من الثبات والتحمل وكبح جماح الشهوات والنزوات ، والاستقامة على أمر الله تعالى ، وهذه ميزة من مميزات المجتمعات المحافظة ، لا يتطرق إليها أدنى شك ، وللأعراف دخل غير منكر فيها.

ولبرهة ، صمت صديقي العالم الجليل الحاصل على الدكتوراة في الشريعة الإسلامية من الأزهر الشريف بمصر في الستينات ، ثم **قال** : ما يؤرقني هو كيفية النهوض بالمرأة المسلمة لتؤدي دورها الحقيقي في تشكيل المستقبل في أفغانستان وهذا جانب مهمل عندنا.

قلت : هذا أمر يؤرقنا جميعاً ، فضلاً عن أنه أمر عظيم في الدين.

قال : بل نحن العلماء ، الأجر كبير والوزر عظيم ، وعلى وجه الخصوص في المجتمعات القبلية المحافظة مثل معظم دوائر المجتمع الأفغاني.

قلت : أفصح يا شيخ عما تريد أن تقول.

قال : اسمع مني هذه القصة (الواقعة) وشاركني وإخوانك في كيفية مواجهة هذا الخطر ، ثم قال مبتسماً : أرني كيف تصنع الاستراتيجيات في هذا الموضوع ؟ ثم بدأ الرجل يروي هذه المأساة قائلاً :

« دعيت إلى محاضرة عن الميراث ، وشرحت ذلك مستنداً إلى رأي الإمام الجليل أبي حنيفة رضي الله عنه وأرضاه في هذه المسألة. وعند حديثي عن حقوق المرأة في الميراث وتفسير الآية

الكريمة : { **ولهنّ مثلُ الذي عليهنّ بالمعروفِ وللرجالِ عليهنّ درجة** }[البقرة:٢٢٨] ، لاحظت وجوماً على كثير من الوجوه التي تجهمتني وأدركت خطورة الوضع. وجاءني على عجل عالم جليل " مولوي " من زملائي الذين وجهوا لي الدعوة للمحاضرة وهمس في أذني قائلاً : يا شيخ عندما تنهي محاضرتك تخرج من الباب الخلفي لأن بعضهم يأتمرون بك ، إذ أن أهل وقبائل هذه المنطقة لا يُوَرّثون المرأة ».

ثم صمت الرجل مرة أخرى

قلت : نحمد الله تعالى أنك بيننا اليوم تقف سالماً غانماً.

قال : الحمد لله ، ولكن هل يدرك إخواننا المتطلعون إلى إقامة دولة الإسلام أو الخلافة ، وخصوصاً من العرب والمسلمين الذين حضروا للدعم ، حجم الجهاد المطلوب ونوعه ؟

حاولت تغيير مجرى الحديث لما بدا على الرجل من ألم وغضب.

قلت : لماذا لم يحضر شيخنا الجليل " فلان " هذه الندوة ؟ أظنه لا يحب الحديث عن الإعلام ويراه نوعاً من الترف إذا ذكرت المعارك الرهيبة ؟

قال : لا ، إن الرجل صاحب فكر ثاقب ورؤية نيرة - كما تعلم - ، ورعاية حسنة لأهل بيته ، يندر وجودها... تصور أنه لم يتمكن من الحضور لرعاية زوجته المريضة.

قلت : هذا أمر يجب أن يكون مستقراً في النفوس ، فالرسول ﷺ كان يسابق أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها ، ويقيمها وراءه خدّها على خدّه لترى الأحباش وهم يلعبون بالسلاح حتى تشبع. وكان يخرج اللقمة من فيه فيضعها في فم زوجاته (أمهات المؤمنين).

قال : سأكمل لك فيما بعد ، قم الآن ، لقد حان موعد الجلسة الثانية من المؤتمر ، **ليته كان عن دورنا في رعاية المرأة المسلمة وخصوصاً في أرض الجهاد**.

❋ ❋ ❋

ونحن إذ نعرج على مثل هذه الأمور والتحديات فليس ذلك من باب التأريخ أو التوبيخ ، ولكن من نوع التبصرة الحقيقية بالتحديات حتى لا تفقد الأمة -ونحن من أبنائها - ذلك التوازن العجيب بين الآمال والطموحات وبين الواقع القائم والتحديات ، وهي ميزة استراتيجية تمتع بها سلفنا الصالح - رجالاً ونساءً

- رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

وهنا تأتي مهمة من مهام « صوت المرأة المسلمة » السعي لإدراك التحديات وحسن عرضها ، واقتراح الحلول وحسن تنفيذها.

وأقترح على صوت المرأة المسلمة بهذه المناسبة الإعداد لمؤتمر يعقد بعد عام من الآن أو حتى عامين ، يدرس دور المرأة المسلمة في القرن الحادي والعشرين ، ويلتزم بنتائجه وتوصياته فئة ولو قليلة ، من الأفراد والأسر المسلمة التي يمكن أن تقود الأمة في هذا الجانب بحسن المثال والقدوة.

